

الأب الروحي للثورة يترجل

عند الشروع في إعداد هذه الصفحة عن أحد أعلام الثورة والحرية، المناضل الفذ والاستثنائي القاضي عبدالسلام صبرة، الذي غادرنا (الخميس) الماضي، وجد كاتب السطور نفسه أمام «ورقة أمتحان» تعود به إلى مراحل الدراسة الصعبة..

ماذا ستقول وستضيف لما قاله الثوار والأحرار والمناضلون والمثقفون والباحثون عن رجل، ليس كبقية الرجال.. لم يبدأ نضاله بالقضاء على الإمامة والكنهوت.. ولكن بدأ نضاله أولاً مع رفقائه وأبناء الشعب اليمني في كيفية الإعداد والتهيئة لمرحلة ما قبل الثورة والنضال على الإمامة والتخلف.. السطور التالية.. وما حوته الصفحة هي جهد المقل في حق بحر زخار يحمل الدرر النفيسة.. وفي حق رجل عاش عمره الطويل بقامة وطن وبهامة شعب عريق..

كتب/ عبدالفتاح الأزهرى



بالمناضلين والاعتراف بأدوارهم الوطنية الكبيرة التي كان لها الأثر سواء في الدعوة للثورة والإعداد لها أو المشاركة الفعلية في الدفاع عنها والتضحية من أجلها..

إكبار وإجلال

سبل الأقوال والكتابات التي قبيلت عن المناضل الكبير القاضي عبدالسلام صبرة، هي كثيرة في المقالات والدراسات والصحف التي يمكن أن تشكل مجلداً عن سيرة الوطني العصامي عبدالسلام صبرة.. وفي ذلك يتحدث الدكتور عبدالعزيز المقالح بإعجاب كبير عن كتابات ورسائل أصدقاء الفقيه وتلاميذه ومواطنيه.. ويركز الحديث عنها فيما قاله المشير عبدالله السلالة التي بعث بها من القاهرة إلى المناضل الراحل الذي لا يكذب قومه في أواخر سبعينيات القرن الماضي.. والتي تحدث فيها بإكبار وإعجاب عن دور هذا المناضل وبكبر فيه مواقفه ووطنيته وحرصه على تجميع صفوف المواطنين المناضلين، والعمل على وضع حد للاختلافات التي كانت قد استشرت قبل اندلاع الثورة وقبل قيامها..».

المثل الأعلى

وعندما يوصف القاضي عبدالسلام صبرة بأنه أبو الثوار والأحرار، فهو بالفعل كان كذلك فقد عاش مراحل التغيير والتحويلات جامعا في شخصه كل الأحرار اليمنيين الذي تمكن بحكمته من أن يوحد بينهم ويجمعهم في كل اللحظات العصبية في منزله.

حتى داخل السجون وأيام الاعتقالات كان صبرة دائماً ما يلعب دور الأب الناصح الحنون كما يشهد له بذلك رفقاؤه الثوار.. وعلى سبيل المثال يقول اللواء علي عبدالله السلالة في حفل تكريمي للراحل المقيم: «كان المناضل الكبير عبدالسلام صبرة استاذنا في سجن حجة، وكان يدرسنا مادة الأخلاق في سلوكه وتقمصت روحه الطيبة وسكنت نفسه الهداية، فكان المثل الأعلى لسلوكنا وتعاملنا مع الآخرين خصوصا في صفة التواضع والإيمان بأننا أبناء المناضلين والأحرار تقع علينا مسؤولية مواصلة ومشاركة ما حمله أبوانا من قبلنا والقيام بالرسالة النضالية المقدسة.. لقد كان القاضي عبدالسلام صبرة يعمل بصمت وبهمة عالية مع تنظيم الضباط الأحرار، ويفتح لهم قلبه وبيته لعقد الاجتماعات والتخطيط للثورة.. وكان دائماً ما يتصدى ويتولى أهم المهام داخل التنظيم..».

ويعلق الدكتور المقالح على حديث السلام بقوله: «في هذا القول الكثير مما يستحق التوقف عنده، فقد أنقى بظلاله على جانب بالغ الأهمية في حياة سجين مسكون بمشاعر الأبيوة والحنان يفر إليه أطفال السجناء لكي يحتمو بحنانهم من قسوة الأبناء حيناً، ومن قسوة السجناء في اغلب الأحيان وهي صورة غير مسبوقة في تاريخ السجون والسجناء، وتلقي اصواءً على ما تميز به القاضي عبدالسلام من قلب كبير واحساس صادق بالأبوة التي رافقته طوال حياته.. وكان الأب التائر المعلم الحاني حتى وهو في ملتقى الظروف وأكثرها إيلا ومرارة..».

عمل كحلقة وصل بين المناضلين من أجل الحرية

تميز بقلب كبير واستحق عن جدارة لقب أبو المناضلين اليمنيين

الأخريين من الثوار.. حيث لم يكف في مجالسه وكتاباته عن الأشادة بالمناضلين والثوار وبأدوارهم في التمهيد وصنع الثورة، وكان كثير الحديث -عبر سنوات طويلة ومنها الأخيرة من عمره- عن الأشادة



الفقيه في سطور

كذلك حتى قبل قيام ثورة ٢٦ سبتمبر الخالدة بعام حيث أودع سجن القلعة بصنعاء ثم أودع المستشفى واطلق سراحه قبل الثورة بأشهر، ونقل الفقيه بعد الثورة العديد من المناصب السياسية المهمة منها عضواً في مجلس قيادة الثورة وعضو في مجلس الرئاسة والعضو في المكتب السياسي ووزير أوقاف ووزير شؤون القبائل في آن واحد، ورئيس للمجلس الأعلى للتابعة والذي كان بديلاً لمجلس الشورى، ونائب لرئيس الوزراء للشئون الداخلية ثم رئيس وزراء بالنيابة ومستشار لرئيس المجلس الجمهوري.

ويعتبر الوالد المناضل عبدالسلام صبرة النافذة التي يطل من خلالها المناضلون على تاريخ الحركة الوطنية التي كان واحداً من أبرز رجالاتها المخلصين، ومثل بصلايته ومبادئه وصموده المثل العظيم للمناضل الوطني كما كان همزة الوصل بين قيادة حزب الأحرار والحركة الوطنية في الداخل، وكان الأب الروحي لتنظيم الضباط الأحرار الذين فجروا ثورة ٢٦ سبتمبر المجيدة.

وطوال أكثر من نصف قرن من الزمان ظل القاضي عبدالسلام صبرة رحمه الله رمزاً بارزاً في الحركة الوطنية اليمنية متحلياً بنكران الذات جامعاً بين وقار المعرفة وبساطة وتواضع المناضل ونزاهة وعفة وطهر الثوري الاصيل.

المناضل الكبير المغفور له بإذن الله تعالى القاضي عبدالسلام محمد حسن صبرة ولد في صنعاء عام ١٩١٢ م من أسرة متوسطة درس في معاملة الأهر ثم في معاملة توفيق، وفي مكتب بئر العزب وفي مكتب الفليحي ثم انتقل إلى الجامع الكبير بمدينة صنعاء.

وكان والد الفقيه مرجعاً علمياً وله ولجميع زملائه من اليمنيين حيث يمتلك والده مكتبة تضم نقائس المعارف العامة، ويجيد عدة لغات منها التركية والفارسية والفرنسية، فضلاً عن اجادته خط المسند الحميري ويتقن ترجمتها وقد درس والده على يد أحد الأتراك المنفيين لمدة ١٢ عاماً وكان يربي اولاده على رفض التعصب والتقليد الأعمى.

وقد ارتبط في نضاله لمقارعة الإمامة بكثير من مؤسسي حركة المعارضة السياسية ومنهم المحلوي والدعيس والمطاع ورفاقهم الأحرار، وتعرض الفقيه ورفاقه الأحرار مراراً للاعتقال والتعسف حيث اعتقل عام ١٩٤٤ م في سجون الامام يحيى «سجن الروضة وصنعاء واب وتعز».

كما سجن عقب فشل ثورة ١٩٤٨ م والذي كان أحد المشاركين بها في سجون حجة حتى عام ١٩٥٥ م وخرج من سجن حجة، وعمل رئيساً بلدياً بصنعاء وظل

الكثير من الثوار والمثقفين والأدباء كانوا يتجنبون الحديث عن المناضل العملاق عبدالسلام صبرة.. وفي المقابل كان الدكتور عبدالعزيز المقالح الوطني الراحل يتجنب الحديث عن «الثوار».. لكنه خصص للمناضل الكبير عبدالسلام صبرة -دون غيره- الحيز الكبير في سلسلة نشرها في صحيفة «٢٦ سبتمبر» وضمن حلقات عدة عن الرجل في زاويته (ومضات) والتي يقول في ضمنها عن مآثر المناضل صبرة.. التي لا تعد ولا تحصى: «لن أتوقف عند كل الأقوال والكلمات التي قبيلت عن القاضي المناضل عبدالسلام صبرة وهي كثيرة، ويتوزعها أكثر من بحث ومرجع وكتاب، ومن أجيال مختلفة الأعمار والانتماآت، ولو فعلت ذلك لاحتجت إلى كتاب كامل، فما قيل عنه يشكل مئات الصفحات»..

شهادات النخبة

ويشير العديد من الثوار والمثقفين والأدباء والمؤرخين في أحاديثهم وكتاباتهم إلى أن من الصعوبة بمكان استيفاء الاشارات إلى بعض مما جاء في عشرات اللقاءات الصحافية والإذاعية والتلفزيونية التي اجراها تأثرنا الكبير، والتي تعد بحق جزءاً من التاريخ الوطني، ورسداً صادقاً وعميقاً لوقائعه الحية، من مشاهد كان له فيها حضوره الحي والفاعل، وبمصداقية تامة كانت محل إجماع من عاصروه من ثوار ومناضلين أو من تلاوا تلك المرحلة من كتاب ومثقفين ومؤرخين تحدثوا عن اعلام الثورة اليمنية وفي مقدمتهم بالضرورة المناضل الكبير والراحل المقيم عبدالسلام صبرة.

الثبات على المبادئ

أبو المناضلين اليمنيين القاضي عبدالسلام صبرة والذي رحل عن دنيانا بعد عمر مديد وصل المائة عام كان عامراً بالنضال الثوري والعمل الوطني، غادرنا ولا يزال بعمره الطويل مسكوناً باليمن وباليمنيين وبالهمم الإنسانية من أجل اخراج البلاد من مساليتها إلى الطريق الصحيحة.. وظل حتى آخر لحظة من عمره متمسكاً بالثورة اليمنية وأهدافها وبالوحدة الخالدة..

وفي ذلك ظل دائماً ما يركز رسائله لثقة الشباب ويوصيهم بالابتهاه لمستقبلهم الذي هو مستقبل اليمن واليمنيين، في وصية رجل مناضل وحصيف اختزل مائة عام من العمر في شكل عناوين تمد جسور الحكمة ومفاتيح الأمان إلى مستقبل فئة الشباب.

وفي ذلك يقول أبو المناضلين القاضي عبدالسلام صبرة: «على

جيل الشباب أن يلتزموا بالحق وأن يعوا مبادئ وأهداف الثورة وأن يبشروا سيراً صحيحاً في طريق استكمال أهدافها الإنسانية النبيلة التي قامت من أجلها الثورة وأن يبذلوا ما يجب بذله من أجل ذلك».

تواضع وإيثار

أكثر ما عُرِف واتسقت عليه في سيرة المناضل التاريخي عبدالسلام صبرة هو التواضع الجرم وحفظه لأدوار

رائد التعليم في زمن الجهل والتخلف

أسامة الشرعي

قبل ظهور أي بدايات للنضال الثوري اهتدى المناضل والراحل الكبير عبدالسلام صبرة وفي عمر مبكر ومع بعض رفاقه إلى حقيقة ساطعة وهي ان البدايات الصحيحة للنضال والعمل الوطني يجب ان تكون بالتعليم.. ولذلك ظل الفقيه الكبير دائماً ما يردد في أحاديثه على أهمية التعليم ودوره في انتصار الثورة.. ويقول في ذلك

: «من خلال التعليم استطعنا ان نقدم نقدر عليه في مسيرة الكفاح والنضال حيث كان للتعليم الدور الكبير للتخلص من الحكم الإمامي المظلم».

ويلاحظ العديد من الثوار والباحثين التأثير المشهود الذي أحدثه الفقيه بين رفاقه الثوار في الحث على العلم والتعلم ليكون اقوى الأسلحة لمحاربة الجهل والتخلف.

وفي مسيرة هذا المناضل الفذ نجده اختار طريق العلم والمعرفة منذ نعومة اظفاره حيث لم يكتف بالمعلمة التي كانت المتاحة حينها لتعلم القراءة والكتابة وعلوم القرآن والحديث، لكنه انتقل للدراسة في الجامع الكبير بصنعاء حيث درس علوم الدين والعبادات والمعاملات وعلوم اللغة.. كما درس العديد من الكتب الشرعية والفقهية، إلى جانب اللغة والتفسير، كما حفظ «متن الازهار» وشرحه وكذلك كتاب سبل السلام في الحديث إلى جانب قراءة كتب ومؤلفات الإمام الشوكاني والوزير والجلال والمقبلي.

كل ذلك ليس بغريب على احد رواد التعليم في بلادنا.. كيف ولا وقد كان المناضل الفذ والفقيه الكبير القاضي عبدالسلام من بيت علم وكان والده يشجعه على طلب العلم باستمرار، كما ورث عن والده مكتبة كبيرة تضم أمهات الكتب في مختلف العلوم والمعرف، كما تمكن من إتقان اللغتين التركية والفرنسية حيث تعلمهما من والده رحمه الله.

رحم الله القاضي عبدالسلام صبرة الذي حمل على كاهله طوال عمره إلى جانب ثورتيه ونضاله رسالة التعليم السامية التي حملها الانبياء لنقل البشر من الظلمات إلى النور.

سطور «من وراء الأسوار»

كل الخير في قطع هذه الشجرة من جنورها قبل كل شيء، ومتى تم لنا هذا استطعنا بعدئذ أن نتقدم في طريقة البناء مستعينين بغيرنا من رجالات العرب أولاً، ومن رجال أوروبا ثانياً، وليس معنا هذا الاستعداد أن نتعطل عن كل ضرورتنا الحرة الشريفة، فالاستعانة بالخبراء ضرورية لمنصراً لأمة من اتخذها كوسيلة من وسائل التقدم، كما هو الشأن في حياة الشقيقات العربية في تقدمها، فلولا الاستعانة بالخبراء من رجال الغرب في وضع الدساتير، وفي سائر العلوم الزراعية والصناعية والكيميائية، لما رأينا هذه النتائج التي نراها اليوم».

من كتاب «من وراء السطور» محمد أحمد نعمان

بمثل ما عرف عن القاضي الفقيه الكبير عبدالسلام صبرة بأنه متحدث مفوه عُرِف أيضاً عنه كاتب بلوغ وصاحب قلم رشيق لكنه للأسف كان توقف نهائياً عن الكتابة السياسية والفكرية تماماً بعد نجاح الثورة. هنا نقتطف أولى كتاباته وأهمها التي خطها من سجنه في العام 1953 م والتي مثلت برنامجاً محدداً لمعاليم التغيير المطلوب في بعض سطورها:

«واعتقد أنك لا تجهلون ما تعانينه أمتنا المسكينة من مرارة الأمراض المزمنة، والمخلفات من العادات الغربية التي تقف حجر عثرة في سبيل القضية، وكيف يغيب عنا أن اليمن أعظم بلاد أصيبت في رجالها وأصبحت ما بين قبيلة تقديس الشخصيات المزيفة التي تحكمها باسم الدين والشرعية، وتتخذ منها آلهة تقديسها وتسبح بحمدها في الوقت الذي تطول عليها بسياتها المحرقة، ثم تصول بها على العاملين في انقاذها، وهي كآلة العمياء يجمعها طبل من الدجل والتضليل، ويفرقها سوط من الطغيان والجبروت، وما بين أشخاص مذبذبين يميلون مع ما يتفق ومصالحهم

الشخصية، إذا فهمنا الحقيقة عرفنا أن الداء الوحيد هو في داخلنا، وأن الواجب يقتضي علينا قبل كل شيء بصفتنا جماعة قد قطعت مراحل الطفولة، واستطاعت أن تكون من أبنائها جماعة صالحة للعمل، أن تفكر في عملية التخريب المقصود الذي يسبق البناء، قبل أن نشغل نفوسنا بعملية البناء، وأن نعرف أن المعدة بيت الداء، وأن عملية التطهير رأس الداء، وأن النفوس المتخمة بقاوت الفقراء والجاهلين ليست الا شجرة جرداء لا تورق ولا تثمر قد انتصبت للناس في ملتقى الطريق تعترض الرايح، وتصد السبيل فلا الناس بظلمة يستظلون ولا هم من شرها ناجون، فالخير

بين القاضي والشاعر

من السجايا والخصال التي عُرِف بها الفقيه الكبير عبدالسلام صبرة أنه كان دائم الانصاف لزملائه الثوار الأحرار بمواقفه وبقلمه وفي مقدمتهم الشهيد محمد محمود الزبيري.. وهنا مقتطفات مما كتبه في الذكرى الثالثة والعشرين لاستشهاد شاعر اليمن الكبير، ويقول فيها:

«كان متدينا يحارب الشعودة والعصبية، ملتزماً بالكتاب والسنة الصحيحة، وكانت أقواله وأفعاله منصفة لا متحيزة ولا جارحة وكان يردد أن الديانة إذا لم تقم على حب الخير والصلاح لكل إنسان من الناس، والبذل في سبيل تحقيقه، وعلى كره الشر والشقاء لكل إنسان من الناس، والجهاد في سبيل مقاومته فهي ديانة ناقصة إن لم تكن مزينة بقصد بها التضليل».

«وكان أهم شيء في نظر الزبيري مباد وعقيدة هو تكريم الإنسان والحفاظ على كرامة الإنسان، كما شاء له الله كذلك وتكريم الإنسان هو المحور الذي تلتقي فيه الديانات والأخلاق والقطرة الإنسانية السامية وأن لب الدين هو المعاملة وان

* «مجلة اليمن» العدد الرابع - ابريل ١٩٨٧ م